دراسة تحليلية
لمضامين أنماط التناص الديني
في شعر الإلبيري*

د. عباس يداللهي فارساني**

*تاريخ التسليم: 2016/11/14م، تاريخ القبول: 2017/2/21م.
**أستاذ مساعد/ جامعة الشهيد جمران/ الأهواز/ إيران.

ملخص

يستهدف البحث دراسة تحليلية لأنماط التناص الديني، أسبابه وأنماطه في شعر أبي إسحاق الإلبيري من أجل اكتشاف العلاقات الوطيدة بين الشاعر ومشاعره الدينية. إذا أمعنا النظر في أثناء القصائد ومقطوعاته الشعرية نجد أنّ التناص الديني ينبعث من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويعدّان من أهمّ الروافد الفكرية والثقافية لدى الشاعر الزاهد.حاولنا في البداية أن نعرف مفهوم التناص ومصطلحاته الصعبة بشكل مختصر، ثم تقف الدراسة عند الإشارة إلى الظروف التي عاشها الشاعر وما ساقه مساق تحلية الشعر بالتعاليم الدينية معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي والأسلوب التحليلي. أخيراً تتبع الدراسة التناص وأنماطه المختلفة في شعر الإلبيري وتركز على توظيف الشاعر للنصوص الدينية، ثمّ الإتيان بإجابات مفيدة لتساؤلات البحث وتقديم التوصيات.من أهمّ مظاهر التناص الديني الوارد في شعره: التناص الاقتباسي، التناص الإحالي والتناص الحواري.

الكلمات المفتاحية: التناص الديني، الإلبيري، القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الشعر الزهدي.

An Analytical Study of the Contents of Religious Intertextuality in Elbiri's Poetry

Absract:

This paper is an attempt to investigate religious intertextuality and its causes and various displays in AbiIshaqAlbiri's poetry through which we can discover the strong connections of the poet with his religious beliefs. Scrutinizing and reflecting on the poet's odes, we realize that religious intertextuality of his poetry has originated from the Holly Quran and prophetic Hadith. These two resources are the most important intellectual and cultural origins of this ascetic poet. The paper initially deals with the definition of intertextuality in brief, then moves to investigate the conditions of the poet's time and the reasons, and motives behind the emergence of religious educations in his poetry. Finally, the paper analyzes various displays of religious intertextuality and application of religious texts. Moreover, Adapted, citation, and allusion intertextualities are the most prominent displays of religious intertextuality in his poetry.

***Keywords**: Religious Intertextuality, Elbiri, the Holy Quran, Prophetic Hadith, Ascetic Poetry*

تمهيد

يعدّ التّناص (Intertextuality) من أقدم التقنيات التي استخدمها الشّعراء والكتّاب للتعبير عن مدى ثقافتهم الأدبية وقوّتهم الشّعريّة للدّلالة على احترافيّتهم وقدرتهم على الأخذ من الثّقافات المختلفة التي تشربها. إنّ هذه الظاهرة قديمة قدم الأدب، فمن ثمّ تعرف في العصور الغابرة بأسماء مختلفة (التّضمين)، (المعارضات الشّعريّة)، خاصّة (السّرقة) التي ذهب (جنيت) إلى أنّها من أنواع التّناصّ (فإنّه بإمكاننا اعتبار كتب النّقّاد القدامى كسرقات أبيتمام وسرقات البحتري، والإبانة عن سرقات المتنبّي دليلاً على التّناصّ؛ إذ تُظهر بشكل جليّ مدى تأصّل ظاهرة التّناصّ في الشّعر العربيّ)[1]. يدلّ هذا على أنّ القدامى لم يكونوا غرباء تمام الغربة لهذا المصطلح، بل يوُجد في العصور السابقة تحت الأسماء النّقديّة المختلفة التي تناسب تلك الفترة، فمن ثمّ ظهر في عصرنا الحديث موضوعاً مستقلاً إثر التّعرّف إلى النّظريّات اللّسانيّة الحديثة. تنبّه النّقد القديم بأنّ هنا علاقات وترابطاً بين النّصوص القديمة والحديثة التي لا يمكن نسيانها.

يعدّ التّناصّ من المصطلحات التي ضربت جذورها في الأدب القديم وليست ظاهرة من الظواهر الحديثة التي جاءت إثر المعطيات الأدبية الحديثة نتيجة تطوّر الأدب والاختلاط بين الأقوام والشعوب، فالنّقّاد القدامى عرّفوه بالمسمّيات المختلفة التي تدلّ على أنّهم كانوا عارفين بهذه الظاهرة القديمة، منها الموازنة، التضمين، الاقتباس..

لا ريب في وجود بعض العلاقات والوشائج الوطيدة بين النصوص والتناصّ في صور شتّى، فالتناصّ يمهّد السبيل للقارئ أو الباحث بإنتاج الموضوعات والمفاهيم الجديدة ضمن النصوص الأخرى، قديمة كانت أو حديثة (فأيّ نصّ جديد في أيّ مجال من المجالات ما هو إلاّ حصيلة لتفاعل خلاّق بين منشيء هذا النص ونصوص أخرى سابقة عليه)[2].

مصطلحات الدراسة الصعبة

قبل أن نتطرّق إلى إشكاليّة المصطلح يشار إلى كلمة النّصّ من منظور اللغة، فالنّصّ في المعاجم اللّغوية هو (الرّفع)[3] و(الظّهور)[4] و(البروز)[5] و(الاستواء)[6] وأقصى الشيء وغاياته[7]، وورد في المعاجم الإنجليزية بمعنى وثيقة وجسد ونسيج وكلام[8].

إذا تتبعنا جذور مصطلح التّناصّ في الأدب العربيّ نجد أنّ الموازنة التي قام بها الآمدي بين أبيتمام والبحتري تعدّ شكلاً من أشكال هذه الظاهرة، وكذلك الوساطة بين المتنبي وخصومه من الجرجاني، فظاهرة تداخل النّصوص بصمة من البصمات الرئيسة في الثقافة الإسلامية ؛ إذ اتسعت الآفاق الفكرية والثقافية الواسعة في الفكر الإنسانيّ في إطار متماسك ومنسجم.

اختلفت وتضاربت الآراء حول تعريف التّناصّ، فعرفت جوليا كرستيفيا التّناصّ بأنّه (تفاعل نصّيّ يحدث داخل نصّ واحد ويمكن من التقاط مختلف المقاطع أو القوانين لبنية نصّيّة باعتبارها مقاطع أو قوانين محولة من نصوص أخرى)[9]، فتعتقد جوليا بأنّ (كلّ نصّ يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات وكلّ نصّ هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى)[10].

ورد مصطلح التناص في النقد الغربي تحت المسميات المختلفة وجرى من خلاله توليد الجديد من النصوص شعرًا كانت أم نثرًا. فكل نص يتداخل ويتوالد مع نصوص أخرى. ظهر التناص

في الأدب الغربي على يد الشكلانيين الروس وكان (شكلوفسكي) من النقاد الذين تحدثوا عن جوهر التناص ومجالاته حين يقول: إنّ العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى، وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها في ما بيننها[11]. كذلك أدلى (باختين) – الذي كان رائدًا حقيقيًا في مجال تعريف التناص ووضع أسسه– بدلوه في هذا المجال مستخدمًا لفظة (الحوار) بدل (التناص) معتقدًا بأنّ الكلمة (تقيم عنده في كل نص حوارًا مع نصوص أخرى)[12].

تقوم النصوص الجديدة بخلق علاقات متشابكة وطيدة بين المتلقي والنص المبدع. هذا القارئ أو المتلقي لا يستطيع القيام بدور بارز ومهم في عملية التوليد والإبداع، ومن ثمّ كان معظم تركيزه على النصّ كعمود أساسي وبؤرة رئيسية في التحليلات الأدبية. بناء على هذا تتكوّن جماليات النص ودلالاتها لديه. من الباحثين الغربيين من تحدث حول علاقة النص المبدع بالمتلقي وهو (ولفغانع إيزر) الذي كشف عن تلك العلاقات والروابط القوية في عملية إبداع النصوص من خلال كتابه (فعل القراءة) حيث عدّ المتلقي أو القارئ شريكًا أساسيًا في عملية الإبداع معتقدًا بأنّ كل العمل الأدبي له قطبان: القطب الفني الذي يتعلق بالنص الذي أنتجه الكاتب، بينما القطب الجمالي يتعلق بالتحقق على مستوى القارئ.الموقع الأدبي هو النقطة التي يتلقي فيها النص والقارئ وهنا يحدث التفاعل الأساسي بين كل العمل الأدبي والمتلقّي[13].

يقوم السياق في عملية الإبداع والتوليد بدور محوري وبارز حيث يعدّ التداعي في صياغة السياق أدبيًا من أهمّ تجليات القراءة السياقية.فمن ثمّ يساعد القارئ في تحقيق التفاعل الفعال بين المتلقّي والنص وفق مبدأ القصدية.هذا هو الذي يبينّ أهمية السياق ومكانته (الذي يتمّ فيه إنتاج النص وفهمه وإعادة تكوينه لدى المتلقّي مما يجعل المشكلة الجوهرية التي يتركز فيها السياق هي تأويل النصّ)[14].

يتّضح من خلال مصطلح التّناصّ أنّ التّأثير والتّأثّر بين النّصوص المختلفة يعدّ حالة طبيعية تدلّ على المخزونات الثقافية وصقل المواهب الأدبية بين الأمم المختلفة، فكلّ شاعر في أمسّ حاجة إلى الاقتراب والتفاعل مع ماضيه الأدبيّ والثقافيّ، ولاسيما الدينيّ لبناء صرحه المشيد لاستقاء قواعد نصّه، فيقاس المخزون اللغويّ في إنتاج النصّ بمقدار ما يستطيع الشخص أن يجمع من الإنتاجات اللغوية والثقافية.

منهج البحث

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الوصفي والأسلوب التحليلي واستمدّت من المصادر الدينية والعقائدية خاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثمّ المصادر الأدبية التي يرأسها ديوان الشاعر، فأدّى هذا الأمر إلى العثور على النتائج الواردة في نهاية المطاف.

أهداف البحث

يحاول البحث العثور على أهمّ محاور التناص وأنماطه المختلفة لدى الشاعر الأندلسي ومرتكزاته الفكرية وما ساق الشاعر مساق توظيف النصوص الدينية ضمن خارطة النص الشعري والإبانة عن مصادر التناص ودور الظروف المختلفة والمحيطة بالشاعر في توظيف هذه النصوص.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الأضواء على دور هامّ وبارز للنصوص الدينية في إثراء تجربة الشاعر الشعرية والذاتية وما رافدها خلال الأسطر الشعرية من التضافر على التعبير عن الهواجس النفسية والدخائل الروحية. الذي يهمّني ههنا أنّ هذا البحث جديد يوسع آفاقًا فكرية رحبة أمام المتلقين والباحثين من حيث أنّه قائم بذاته ولم يكتب بحث مستقل حول التناص في شعر الإلبيري.

تعود أهمية توظيف النصوص الدينية لدى الشاعر إلى التعبير عن التعاليم الدينية السمحة والكشف عن دورها المحوري في وحدة المجتمع الإسلامي وتضامنه نحو الصواب والرشاد.من هنا قامت هذه الدراسة بدور هامّ في الإفصاح عن دور التناص ومستوياته المختلفة في التعبير عن هواجس الشاعر ومكنوناته التي انتابته إثر التدهور في المجتمع الأندلسي.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المراد بمصطلح التناص في التراث العربي؟
- لماذا عمد الشاعر الأندلسي داخل النص الشعري إلى توظيف التناص بمختلف المستويات؟
- ما أهمّ محاور التناص عند الإلبيري؟
- ما أهمّ ضروب التناص المستخدمة لدى الشاعر؟
- كيف يقوم التناص بدور محوري وبارز لدى الإلبيري؟
- كيف أدّى توظيف النصوص المتناصّة لديه إلى إثراء اللغة والمضمون الشعري؟

فرضيات البحث

من أهمّ الفرضيات الواردة في البحث ما تلي:

1. من المفترض أنّ الشاعر تعمّد توظيف تقنية التناص داخل النسيج الشعري، فلم تظهر اعتباطية ودون عفوية.

2. عمد الشاعر إلى توظيف النصوص القرآنية والنبوية بغية إحياء التراث الأدبي وإقامة الصلات الوطيدة بين الأدب الأندلسي والتراث الديني العريق.

3. يفترض أنّ الشاعر أراد من خلال توظيف النصوص الدينية التعبير عن الندامة وما اقترف في عنفوان الشباب من معاصٍ وذنوب كبار، ثمّ إحياء الأوامر والنواهي الدينية داخل المجتمع الأندلسي الذي انطمست فيه معالم التعاليم السمحة.

4. من المفترض أنّ التناص الديني لدى الشاعر ظهر عبر نسيان الأوامر والنواهي الدينية وكثرة مظاهر الظلم والتعسف والعبث والخلاعة في المجتمع الإنساني، ومن ثمّ حاول الشاعر من خلال توظيف التناص الديني تذكير الناس بما يجب عليهم مراعاته والمواظبة عليه من إقامة المثل الدينية ورعاية حقوق **الله**.

خلفية البحث

تطرق الباحثون والدارسون إلى دراسة شعر الإلبيري من جوانب مختلفة واهتمّوا به، لكنهم لم يدرسوا شعره من زاوية التناص الديني ودور النصوص الدينية خاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فيه وما تقوم بدور هامّ في إثراء لغته الشعرية. يرصد هذا البحث إزالة الستار عن أنماط التناص الديني بوصفه أهمّ ركيزة من الركائز الفكرية في شعر الإلبيري الزهدي والكشف عن دور المبادئ الدينية والإسلامية في شعره.

يشار ههنا إلى بعض الدراسات التي أجريت في شعر الإلبيري:

1. قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري: أ.عبدالحميد جوي. مجلة قراءات. العدد 2.جامعة محمد خيضر. بسكرة. 2010م.

2. اللغة في شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي: أ.عبدالحميد جوي. مجلة قراءات العدد 13.جامعة محمد خيضر. بسكرة. 2013م

3. الموسيقى الشعرية في شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي: أ.عبدالحميد جوي. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها. جامعة الوادي. العدد 4، 2012م.

4. التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري (دراسة موازنة). رسالة جامعية. محمود لطفي نايف عبد الله. جامعة النجاح الوطنية. 2009م.

1ـ نظرة إلى حياة الإلبيري وأحداث عصره

يعدّ إبراهيم بن مسعود التحبيبي الغرناطي من أبرز وأهمّ الشعراء الأندلسيين الذي نُفى إلى إلبيرة فأصبح يعرف بالإلبيري. ولد الشاعر نحو سنة 375 للهجرة وترجّل عن صهوة الحياة سنة 478 للهجرة. لقد عاصر الشاعر طيلة الحياة دولة العامريين بالأندلس ودولة الطوائف وذاق مرّ الحياة وحلوها ورأى تقلبات الدهر وما ألمّ بالملوك من نوائب الدهر وحدثانه مما ضافره على تكوين مخزونه الثقافي والفكري.

ليس الإلبيري شاعراً فحسب، بل كان فقيهاً ورعاً وزاهداً نبذ الدنيا وملذاتها. ويعود شهرته إلى قصيدته المشهورة في التحريض على البطش باليهود حينما ازداد طغيانهم.اتخذ الشاعر أدبه بصورة عامة وشعره بصورة خاصة كردّة فعل أمام ما جرى في المجتمع من البذخ والترف والمجون الذي اجتاح البلدة.

يعدّ الزهد الإسلامى بما ينطوي على المبادئ الدينية والإسلامية التي تحرض الشاعر الأندلسي على التزهد ورفع المعنويات الروحية في الحياة الدنيا، من أهمّ المصادر الفكرية التي انبنى عليها تيار الزهد في الأدب الأندلسي. المتأملّ في الأدب الأندلسي يعلم أنّ المثل الدينية والأسس العقائدية تقوم بدور هامّ وبارز في تكوين فكرة الزهد في كافة العصور من الجاهلية إلى العصر الحديث لما تشتمل على النصح والمواعظ القيمة التي تنير الحياة للإنسان في الدياجير خاصة في الفترة التي تنتشر فيها مظاهر البذخ والترف والفساد الخلقي، كما نلاحظها في الأدب الأندلسي. من ثمّ حاول المثل الدينية ترسيخ هذه القيم السامية وإيقاظ الناس من سباتهم العميق وإنذارهم من مغبات الانكباب على الملاهي والمعاصي الموبقة.

2ـ مصادر التناص الديني عند الإلبيري

تبوّأ النّصّ القرآنيّ المكانة الأولى بين المصادر الدّينيّة في تشكيل البنية الشعرية عند الشعراء والكتاب لما يتضمّن على عمق دلاليّ وقدسية في نفس المتلقيّ، وتجلّى هذا النصّ الشريف بصور مختلفة ما بين بنية فعلية وإسمية، واصطبغ أكثرها بالطابع القرآنيّ البحت باعتبار أنّ (الألفاظ للمعاني أزمّة وعليها أدلّة وإليها موصولة وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها) [15].

تضاربت مصادر التناص الديني لدى أبي إسحاق الإلبيري إثر الاختلاط بالحضارات والثقافات المختلفة التي عاشها، فكان الأندلس مسرحًا من المسارح التي امتزجت بالثقافات المتاخمة خاصة الأجنبية.من ثمّ تنوعت واختلفت مصادر التناص الديني لديه. وكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أهم الروافد الفكرية التي أثرت في شعره الزهدي.

تقوم المصادر الدينية خاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بدور هامّ ومحوري في حياة الأندلسيين، فاعتمدوا في موازينها على الكتاب والسنة وجعلوهما الفيصل فيما يختلفون فيه والمنار الهادي فيما يشتبه عليهم من الأمور، أو يخفى عليهم من القضايا، فلا يخرجون عليها وحولهما كانت دراساتهم [16] .

2-1 – التناص مع القرآن الكريم

القرآن هو المعجزة الخالدة التي أنعم الله –سبحانه وتعالى– بإرساله على الإنسان ليكون مصباحاً منيراً وهّاجاً طوال الأزمنة في دياجير الحياة، ليخرج الإنسان من الظلمات إلى النور، فهذه الهديّة الإلهيّة لا تختصّ بزمن خاصّ أو مكان خاصّ، بل تختص لجميع الأزمنة والأمكنة وتعدّ مصدرًا مهمًّا للثقافة الإسلامية والدينية. فليس القرآن إلاّ (دستور الله الخالد للبشرية الجمعاء وهو صانع التراث ومصدره الأكبر والمنبع في إمداد الثروة اللغوية) [17]. استمدّ الشعراء حتّى الأوروبيون من القرآن الكريم وأخذوا منه صوراً ونماذج مختلفة بوصفه مصدراً خصباً من مصادر الإلهام الشعريّ، فقد كان القرآن الكريم (مصدراً للشعراء الأوروبيين الذين استمدّوا منه بعض الشّخصيّات والنّماذج الأدبية، وقد فتن الرومانتيكيّون بشكل خاصّ بهذه الشّخصيّات الدّينيّة المتمرّدة المطرودة كشخصية (الشّيطان) وشخصيّة (قابيل) القاتل الأوّل وقد رفعوا من هذه الشّخصيّات نماذج للتّمرّد عن كلّ ما هو عاديّ وكلّ ما هو مقرر ومفروض، وعبّروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانته هذه الشخصيات من عذاب ولعنة جرّاء تمردها)[18].يشار من بين هؤلاء الأدباء الأوروبيين إلى (غوته)، الشاعر الألماني الكبير، الذي تعرّف إلى الثقافة الإسلامية من خلال قراءة السيرة النبوية في الرابعة والعشرين من عمره، فاصطبغت كتاباته بالثقافة القرآنية حيث تحدّث عن الله ووجوده في العالم معتقدًا بأنّ النور والحكمة لم يبدأ إلاّ بالإسلام والقرآن الكريم ذروة الفصاحة والبلاغة.

إذا أمعنا النظر في طيات القصائد والمقطوعات الشعرية لدى الإلبيري نجد الدلالات الجمة والنصوص الشعرية الكثيرة المتناصة مع القرآن الكريم مما يثبت التأثير العظيم للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الأدب العربي عامة والشعر الزهدي خاصة. وهذا معين زاخر لاينضب أبدًا طيلة القرون والعصور.

تطرق الشاعر خلال المقطوعات الشعرية إلى معالجة القضايا الدينية والأخلاقية مستمدًا من القرآن الكريم والأسس الدينية النبيلة التي لا يسعد أحد إلا باتباعها. ونراه يضفي على شعره ثوبًا قشيبًا من المبادئ الدينية، واستطاع من خلال ذلك أن يتميز أدبه بقدرته وبراعته على استيعاب المعاني القرآنية والإسلامية.

تجلت مظاهر التناصات القرآنية لدى الإلبيري في المحاور الآتية:

2-1-1 - الإقرار بوحدانية الله – تعالى–وتوحيده

وَعنــت لقيّوم السمــاوات العُلا
مــن لا يراقــب ربّــه ويخافه
ونســوة يبتغيــن ســترًا
ربِّ الجميع، وقاهــر الأملاك[19]
تبّت يــداه وما له مَــن وال [20]
بنيــتُ بنيــان عنكبــوت[21]

تمثل هذه الأبيات جوهر عقيدة التوحيد وعمد الشاعر في هذه المقطوعة إلى التكثيف التناصي الذي يفصح عن غرض الشاعر وهو تسجيل توحيد **الله** – تعالى–والإقرار بربوبيته وتوجيه الناس نحو غرض أسمى وأنبل. تبين لنا من خلال الأبيات المذكورة أنّ الشاعر قد استقى معظم محاوره الفكرية من آي القرآن الكريم، منها قوله– تعالى–: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾[22] ، وفي البيت الثاني من قوله – تعالى–: ﴿**...وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾[23] وأخيرًا في الشطر الأخير من قوله – تعالى–: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[24].

يدلّ توظيف الآيات القرآنية على التعبير الصادق والتأثر بالقرآن الذي يعدّ أهمّ رافد من الروافد الهامّة التي تسهم في إغناء التجربة الشعرية وتكوينها وتنميتها. يضفي هذا الأمر على النّصوص كلّها ثراء ويعطيها قدرة على إقامة الصلات مع القيم السامية في التراث الدينيّ والفكريّ والأدبيّ وتغذية النّصّ وتجليته مما يضيف عليه من القيمة والفاعليّة في نفوس النّاس.

ظهر التناص عند الإلبيري لنقل التجارب الذاتية والخبرة الشخصية التي تحصلت لديه، فنراه يستفزّ طاقاته اللغوية والبيانية وإمكاناته المعرفية لإنتاج النصوص التي اصطبغت بطابع الدين والحكمة والعظة لتحريض المتلقّين على امتثال أوامر **الله** – جلّ وعلا– واجتناب نواهيه.

أنتَ مثــل السّجلّ يُنشــر حيناً
يُسحــب في النار علــى وجهه
وهــي ومــا غــاب وما قــد بدا
ثمّ يطوى من بعد ذاك ويُختم[25]
بسابــق الحكــم مــن الله[26]
مــن آيــة في قبضــة الله[27]

مما لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم أكسب الشعر الزهدي رونقاً وجمالاً فنياً منقطع النظير طيلة القرون والعصور، حيث شكّل القرآن الكريم عند الشعراء الزهاد مرجعاً فكرياً، لأنّ القرآن الكريم ومعارفه النبيلة محور العلوم والمعارف لدى كل مسلم. الشاعر الزاهد على ثقة بأنّ الدين وأسسه النبيلة جزء من التكوين النفسي والروحي. فمن ثمّ وجد في النص القرآني ميادين جديدة خلقت له آفاقاً جديدة لن تتاح له في المصادر الأخرى ومضى مستضيئاً بنوره الساطع.

لا مشادة أنّ الشاعر امتاح من مضامين القرآن الكريم وتأثر

إنّ المتأمل في شعر الإلبيري الزهدي يجد أنّ محاور التناص المتضاربة لديه تتطلب قراءة فاحصة شاملة وتدبّراً واسع النطاق للمفردات والتراكيب الدينية والإسلامية مما تدلّ على سعة ثقافة الشاعر الدينية والعقدية وتنمّ عن صلته المتعمقة بالتراث الديني لغة وشعرًا.

حاول الشاعر الزاهد من خلال المقطوعات الشعرية أن يثبت وحدانية **الله** – تعالى– وما يتصف به من القدرة والجبروت والاستحواذ على الأنام. ومن نماذج قوله ما ورد:

يحمل هذا الإقرار في طياته نمطًا من البعد النفسي الذي يثير الاهتمام والعناية بالأوامر والنواهي الدينية لدى القارئ والمتلقّي، لما يؤدي إلى ترسيخ الثوابت الدينية لديه مما يحمله على اجتناب المعاصي والمكاره والاقتلا ع عن الكبائر والذنوب. هذه القضية تمتّ بصلة وثيقة إلى شيوع البذخ والترف في المجتمع الأندلسي.الإنسان المؤمن لايقترف الذنوب والمعاصي التي تثير غضب **الله** – تعالى– وسخطه. ورضوان من **الله** أكبر.

2-1-2 - تصوير القيامة وأهوالها والثواب والعقاب

تعدّ الطامّة الكبرى وما فيها من فزع وهول وثواب وعقاب من أهم المحاور الفكرية التي شغلت بال الإنسان منذ غابر الأزمان خاصة عند الشعراء الزهاد الذين اتخذوا الشعر الزهدي أداة ناجعة لتهويل الناس وتخويفهم وإنذاراً من الحياة الآخرة وإسداء للنصح والعظة.

استلهم الشاعر النصوص الدينية والإسلامية خاصة القرآن الكريم لتصوير القيامة وما فيها من أحداث مذهلة. نرى هذه النصوص المتناصة تعبر بصورة واضحة عن مدى ثقافته الدينية وعمقها لديه ومدى اتصاله بآي الذكر الحكيم. فمن هذا المنطلق، تفتح هذه النصوص القرآنية آفاقًا متسعة جديدة أمام المتلقي مما يؤدي إلى ترسيخ الأسس الدينية والمبادئ السامية لديه وتعديل السلوكيات. وردت نماذج من تصوير القيامة في شعر الإلبيري حيث يقول:

بروح الصياغة والأسلوب ليضفي على شعره القداسة. جذب انتباه المخاطب بغية التأثير فيه من خلال التناص الذي أقامه النسيج الشعري مع القرآن الكريم واستحضار الشبكة الدلالية للأسلوب القرآني الذي يكسب المعنى الرامي إليه وضوحاً وجمالاً واستعار منه ألفاظه وأخيلته ومعانيه حتى لا يكاد يخلو بيت من أبياته من الأسلوب القرآني.

القيامة وما فيها من هول الأحداث والوقائع ومحاسبة الإنسان مما يخلق باعثاً قوياً ورادعاً نفسياً يحذر المخاطب من

مغبات سوء التصرف ورمي النفس في أحضان الذنوب والآثام في الحياة الدنيا.إذا تأمل الإنسان في مغبة الأعمال وما آل به هذه السلوكيات الخاطئة إلى الموبقات والمهلكات يجد أنّ ما عند الله خير وباق، فلا ينبغي للإنسان المؤمن أن يشتري عذاب الآخرة إثر الذنب في الحياة الفانية.

3-1-2 - ثنائية الخلود والفناء

تعدّ ثنائية الحياة والموت من الموضوعات التي شغلت بال الإنسان منذ الأزمنة الغابرة، وضربت هذه الظاهرة جذورها في كيانه وافترشت مساحة كبيرة من ذاكرته وتعلّق تفكيره ومعتقداته وسلوكياته بهذه الفكرة. فمن ثمّ فكّر في الموت وتأمّله وفي النهاية وصل إلى أنّ الموت حقيقة محتومة لا مناص منها ومورد لا بدّ من ورودها.

عندما يتحدث الشاعر عن الموت والفناء فإذا هو يتجه

كأنّي بنفســي وهيَ في السكرات
ومــا يعرف الإنســانُ أين وفاته

يتناص الشاعر في البيت الأول مع قوله – تعالى-:﴿ **وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[30] و﴿**كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ**﴾[31] وفي البيت الثاني مع قوله – تعالى-: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[32].

رافقت شعره قضية الإيمان العميق بالموت مع فكرة عدم الاغترار بالدنيا والإقبال عليها، خاصة أنّ التعاليم الإسلامية تحذّر من الاغترار والافتتان بالحياة الدنيا، فضلاً عن الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم التي تحرّض الإنسان على عدم الافتتان بنعيم الدنيا الزائل وملهياتها. ساقته فكرة الموت وتصوير الشيخوخة في أثناء مقطوعاته الزهدية مساق التخلّي والانصراف عن متاع الدنيا الزائل متمثلًا بالقرآن وهديه الكريم.

لا ريب أنّ الشاعر الزاهد عبّر تعبيراً صادقاً عن تجاربه الروحية طوال الشباب والشيخوخة، وحاول أن يُضفي على شعره نوعاً من الحكمة والتأمل واتخذ المشيب من خلال شعره الزهدي مفهوماً دينياً. إذ جعل الحديث عنه أداة لدعوة الآخرين إلى الإنابة ونبذ الدنيا والإقبال على كلّ عمل من شأنه يؤدّي إلى الفوز بالحسنات والصالحات والتقرب إلى الله – تعالى-. انطلاقاً من هذا الموقف، ينصح الإنسان بأخذ العبر والمواعظ وردّ النفس عن غيّها وتصحيح مسار الحياة. أدرك تماماً حتمية الموت والزوال وما بعده من ثواب ونعيم للمؤمنين. اتخذ ازدراء الدّنيا وهجرها والتحريض على طلب الحكمة والموعظة الحسنة وسيلةً للتذكير بالنّاس وتنبيههم من غفلتهم وغيّهم لئلاّ يرموا بأنفسهم في أحضان العبث واللهو. تمحور شعره في هذا المجال حول هذه المحاور: خداع الدنيا وتقلّب أحوالها- تحقير الدنيا والتقليل من شأنها، اقتران الحكمة والنزعة العقلية والحكمية في الدنيا، الموت وما يتبعه من حساب، التمتع من شفاعة الأولياء والأنبياء في الحياة الخالدة وحتمية الموت وقوة سطوته.

اتسم شعره الزهدي في هذا المجال بطابع عدم الاكتراث بالدنيا والتقليل من شأنها للتعبير عن الرحيل عنها وعدم الافتتان بها، واتخذ الدنيا وما فيها من النعيم الزائل بمثابة موقف للعمل نحو الإفصاح عن فزع الموت والاعتبار والتحذير منه والاستعداد التامّ للرحيل الأعظم من خلال التزوّد من صالح الأعمال ونبذ الدنيا ومغرياتها بكبح النفس الطاغية وتمرينها على الرياضة والانصراف عنها والاصطبار الجميل والعكوف على النزز اليسير من الحياة والقناعة. إذا أمعنا النظر في تضاعيف المقطوعات الزهدية عند الإلبيري نجد أنّ فكرة الحياة والموت والبقاء والفناء التي افترشت مساحة كبيرة من أدبه تمثّلت أداة للتخلص من الضغائن والأحقاد التي اعتصرت نفسه من قبل الناس والمجتمع الإنساني.

استمدّ الشاعر من النصوص القرآنية للتعبير عن هذه الفكرة بغية الإفصاح عن النصح وردّ السادرين عن غفلتهم وغيّهم، وهذا كله ظهر في إطار الترهيب مما بعد الموت والرحيل إلى الدار الخالدة والحثّ على الاستعداد المفاجئ للموت والرحيل عن الدنيا.

ومن نماذج قوله ما يقول:

تعالــجُ أن ترقى إلى اللـهوات[28]
أ في البرّ أو في البحر أم بفلاة[29]

الدؤوب والتزوّد من الصالحات بغية التخلص من غدرها. انطلاقاً من هذا الموقف، نجد صراعاً مريراً ومحتدماً بين الحياة والموت في خطابه الشعري في إطار تتجلى فيه مناجاة النفس والتحدث معها.

تنطوي هذه الثنائية على الباعث النفسي القوي الذي يحذر المخاطب من حبّ الدنيا والاستزادة فيها، لأنّ حبّ الدنيا رأس كل خطيئة. الإنسان المؤمن الذي يريد في الحياة الدنيا رضوان الله – تعالى-والاقتداء بالمثل الدينية النبيلة لا يحبّ فقدان هذا الأمل المنشود ويحاول دائماً تجنب الآثام والكبائر. أراد الشاعر من خلال الإتيان بهذه الثنائية تأنيب المخاطب وإصلاح السلوكيات الخاطئة لديه عقب كثرة مظاهر البذخ والترف في المجتمع الإنساني. لهذا التناص أصداء روحية ونفسية ضمن كيان المخاطب، ما يحمله على اجتناب الذنوب والاقتراب من المثل الدينية النبيلة والثوابت الدينية السامية التي تتضمن سعادة الإنسان وفوزه في الحياتين.

2-2 - التناص مع الحديث النبوي الشريف

يعدّ الحديث النبوي الشريف ذلك المنهج التّطبيقيّ للقرآن الكريم. مما لا شك فيه أنّ الحديث الشّريف ينمّ عن تفاهة الدينا وعدم الاكتراث بها ومتاعها الزائل. روى عن النبي (ص) قال: (ما لي والدّنيا، مثلي ومثل الدّنيا كمثل راكب قال في ظلّ شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها)[33] وقال (ص) أيضاً: (ما مثل الدّنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر بما يرجع)[34]، وأشار الإمام عليّ (عليه السلام) إلى نفس المعنى قائلاً: (مَثَلُ الدّنيا كمَثَل الحيّة ليِّنٌ مسُّها، والسُّم الناقع في جوفها، يهوي إليها الغرُّ الجاهلُ، ويحذرها ذواللُّبّ العاقلُ)[35]. انطلاقاً من هذا الموقف، عدَّ الصّحابة والتّابعون سيرة النّبيّ (ص) قدوة مثاليّة وأسوة حسنة في حياتهم الفكرية وسلوكياتهم النبيلة وساروا بهداه وأقبلوا على العبادة واجتناب الآثام والاهتمام بالحياة الخالدة.

الأمر الذي لا شك فيه أنّ الحديث النبوي الشريف المتمثل بالقرآن الكريم يحاول التوازن والتعادل بين الحياة الدنيا الفانية والأخرى الخالدة التي لا زوال فيها ليستطيع الإنسان أن يعيش في الدنيا متطلعًا إلى المستقبل المشرق وفي الآخرة متمتعاً بالشفاعة

ومجالسة الأنبياء والأبرار. ترجح الشّريعة الإسلاميّة الآخرة للإنسان واتخذت الحياة الدّنيا كتمهيد للحياة الأخرى محاولة ترقية للأسس الخلقيّة والدّينيّة. لهذا وصفت الجنّة وما يتمتّع فيها المؤمن من نعيم الله وثوابه مستهدفة تحويل أنظار النّاس عمّا يحيط بهم من حطام الدّنيا وما فيها من حياة مادّيّة ضيّقة [36].

يتّضح لنا خلال الأحاديث الشّريفة أنّها (التّحذير الشّديد من الافتنان بالدّنيا والتّنافس فيها، لأنّ عاقبة ذاك الهلاك وهذا ما يخشاه النّبيّ (ص) على أمّته، إن هم انصرفوا إليه، كما جاءت الأحاديث آمرة بالزّهد مبيّنة فضله وثمرته وهي محبّة الله ومحبّة النّاس)[37]. صار الحديث النبوي الشريف لديه بؤرة مولدة لإيحاءات شتّى تطوع فكرته بما ينسجم مع مشهد النصّ الديني مما دفعه إلى إذابة النص الغائب في النص الحاضر.

سُجنتَ بها وأنتَ لها محبٌّ
لَيقبح بالفتى فعل التصابي
وإليه ضراعتي وابتهالي

عمد الشاعر في هذه الأبيات الثلاثة إلى توظيف الحديث النبوي الشريف دعمًا لمنهجه الفكري وتسجيل الغرض المراد لدى المتلقي بغية إقناعه لقبول الفكرة الرامية إليها.استلهم الشاعر في الأبيات الواردة قول النبي (ص)؛ إذ يقول: (**الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر**)[41] والبيت الثاني مستوحى من قوله (ص):(**خير شبابكم من تشبّه بكهولكم، وشرّ كهولكم من تشبّه بشبابكم**)[42] وفي البيت الأخير تناص آخر من قوله (ص): (**إنّ الله يستحي أن يعذّب شيبة شابت في الإسلام**)[43].

شكّل الحديث النبوي الشريف عند الشاعر الزاهد مرجعاً فكرياً فنياً، استقى منه ما يقوّي شعره ويدعمه في كثير من المناسبات العامة والخاصة. استطاع أن يذيب هذه النصوص في شعره ويدمجها وأراد من خلال هذا الأمر إضاءة العصور الراهنة بالماضي المفعم بالتجارب الدينية المتعمقة.

تعدّ النصوص الدينية والإسلامية رمزاً للمثل والقدوة والعظة التي تقدر على إلهام الشاعر بما تحويه من معانٍ متجددة. وكان استدعاء الشاعر لآي الذكر الحكيم والحديث النبويّ الشريف أو قصصه أو أحداثه أو شخصياته أحد السبل التي جعلته يرتقي بشعره. لهذه الاستدعاءات رؤى خاصة عنده ألبستها بثوب جديد حسبما أرتأي وهي تنسجم مع الموقف الشعري. حتى كانت لغة القرآن الكريم منهلاً عذباً يردهُ الشاعر وينهل من ألفاظه ما يشاء. ويوردها في سياقاتها الدلالية أو يعدل بها إلى سياقات أخرى تجري مع مضمون ما نظم لتحمل بعداً دلالياً وعمقاً نصياً يؤثّر في كيان المتلقّي ويشحذ انتباهه.

الذي لا شك فيه أنّ توظيف التعاليم الدينية خاصة الروايات المأثورة تعبر عن حبّ الشعراء وإشادتهم بشخصية الرسول (ص) وتمثّل من جانب مظاهر الحبّ والوفاء والإعجاب لتلك الشخصية الفذّة التي تعدّ رمزاً لتنفيس الكروب والأزمات الروحية والنفسية لحياة المجتمعات البشرية في شتّى المستويات. ومن جانب آخر كانت وسيلة للتقرّب إلى الله – جلّ وعلا– استغفاراً للذنوب والمعاصي. استنار المسلمون بنورها الساطع في أرجاء العالم

إنّ المتأمل في شعر الإلبيري الزهدي يجد أنّ هنا عوامل وأسباباً مختلفة ساقته مساق توظيف الروايات الدينية، فمنها ما تعود إلى الأصول والقواعد التي نهضت عليها فكرة الزهد ومبانيها، فتوجّهت إليها قرائح الشعراء والكتّاب وعدّوها المصدر الثاني للتشريع، ثمّ ما كان في كيان الشاعر من الميل الشديد إلى الاقتداء بالسيرة النبوية وأسسها العليا بغية الشفاعة والنجاة من الأزمات الروحية والنفسية التي انتابت المجتمع الإسلامي، وقسوة الحياة وصعوبتها على الناس، ما جعلتهم يتخذون السنة النبوية المطهرة أداة للتخلص منها وتضميد جروحهم النفسية، وما تتصف به شخصية الرسول (ص) من الرفعة والكمال مما جعلت المسلمين يتخذونها قدوة حسنة ابتغاء الشفاعة والتوسل إليه.

من نماذج هذا التناص ما ورد في شعره:

فكيف تحبُّ ما فيه سجنتَ[38]
وأقبح منه شيخٌ قد تفتّى[39]
في معافاة شيبتي من جهنّم[40]

لتتميم المكارم الأخلاقية. هذا الأمر لا يبقي أيّ شك لدى المخاطب أو القارئ، لأنّ الشاعر كان على ثقة بأنّ التمسك بالدين وقيمه النبيلة واتباع الأوامر والنواهي الإلهية هو المنفس والمخرج الوحيد من كافّة المعضلات والمشاكل في المجتمع الإسلامي.

3ـ أنماط التناص الديني عند الإلبيري

استخدم الإلبيري تقنية التناص بمثابة أداة ناجعة وفعالة لما خامره من الخلجات الروحية والنفسية وما ألمّ به من المشاعر والأحاسيس الدفينة طيلة الحياة. صار التناص آلية من آليات نقل التجارب الذاتية والروحية لديه. حاول الشاعر الزاهد إعادة تجاربه المعاصرة إلى جذورها القديمة المتجذرة في التراث العربي الأثيل وخلق نمطاً من التفاعل الخلاّق بينه وبين التراث القديم من جانب، وبين المتلقي والفكر الحديثة من جانب آخر. وظّف الأطر الثقافية والفكرية لتجسيد رؤاه الشعرية ومواقفه الدينية والإسلامية من أجل التأثير في الآخرين وإقناعهم نحو الفكرة المرادة، ويصدر معظم أفكاره الدينية عن معان قرآنية وإرشادات نبوية.

إنّ المتأمل في شعر الإلبيري يجد أنماطاً مختلفة من التناص الديني الذي يقوم بدور محوري في التعبير عن مكنوناته النفسية وما خامره من الدخائل والتجارب الحلوة والمرّة. من هنا نراه ينفتح على النصوص القرآنية حسب ثلاث آليات من آليات التناص، وهي التناص الاجترارى أو الاقتباسي، التناص الامتصاصي أو الإحالي والتناص الحواري أو الإيحائي.

3-1 – التناص الاجتراري أو الاقتباسي

المراد بالتناص الاجتراري هو الذي يوظفه الشاعر داخل النسيج الشعري من أجل استدعاء النصوص الدينية من دون تحوير أو مع تحوير طفيف لأسباب عدّة. منها ما يعود إلى (نظرة التقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات ولاسيما الدينية من جانب، ومن جانب آخر فيعود الأمر إلى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الذات المبدعة في تجاوز هذه النصوص السابقة) [44].

لو عرفنا التناص بامتصاص النص الحاضر من النصوص الغائبة أو السابقة لاستطعنا القول «إنّ هذا التواجد يمثّل الدرجة العليا لهذا الحضور النصي حيث يعلن النص الغائب عن نفسه في النص الحاضر، فيصبح هذا الحضور بين النصين مندمجًا حتى يغدوان كتلة واحدة غير متشظية ، وإلاّ لا يعدو أن يكون مجرد تجميع، لا مسوغ له، ولا يربط بين أجزائه، ليؤدي دلالة مكثفة لعمل واحد، مكون من نصوص شتى سابقة عليه أو معاصرة له)[45].

إنّ المتأمل في شعر الإلبيري يلاحظ أنّ التناص بآي القرآن الكريم ورد في شعره على مستوى التناص الامتصاصي/ الإحالي والتناص الحواري/الإيمائي بشكل لافت النظر وواسع النطاق بحيث يكاد يغطّي معظم القصائد والمقطوعات، ولم يرد بالشكل الاجتراري إلا ضيّق النطاق. فمن هنا يعالج معظم التناصات الاقتباسية مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف الكثير من قضايا الاستلاب الفكري والحضاري والثقافي في المجتمع الإسلامي والأندلسي ابتغاء اقتلا ع الآخرين عن الإثم وإصلاح السلوكيات نحو الدعوة إلى الطاعة والمناهج الدينية والفكرية القويمة والإنابة إلى الله.

يـــا أيهـــا النـاس خـــذوا حذركم
وراقـــب إلـهـــك فـــي حزبـــه
إنّ الألـبّـــاءَ هـــم قلّـــةٌ
يـــا أيّـهـــا الـمغتـــرّ بـــالله

عمد الشاعر في الأبيات السابقة إلى استلهام النصوص القرآنية من دون تغيير أو تحوير طفيف مما يمهّد السبيل لإلقاء المهابة والحضور الفعّال في قلوب المتلقين ليتفيّأوا ظلال النصوص الدينية. ظهر من خلال ذلك التناص مع قوله – تعالى–: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا**﴾[50] وفي البيت الثاني: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[51] وفي البيت الثالث والرابع: ﴿**فَفِرُّواْ إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[52].

ظهر النص الشعري مشابهاً لما جاء في الذكر الحكيم من جهة التركيب والمضمون فاتفق مع التصور الربّاني الذي أتى به القرآن الكريم. يدلّ هذا على قدرة الشاعر وبراعته في امتصاص النصوص القرآنية واستطاعته لبناء النص المتكامل والتوفيق الدلالي بين القصيدة ومعنى الآية. إذ إن كوّن القرآن ركيزة من ركائز إبداع النص لدى الكاتب. يتضح أنّ الصور الدينية والعقائدية والمضامين الإسلامية النبيلة تضفي على الشعر نوعاً من التطور والتنوع والعمق في التعبير عن المعنى الذي رمى إليه الشاعر. استطاع الشاعر في هذه القطعة أن يستخدم النصّ القرآني بمثابة جزء لايتجزّأ من مخزونه الفكري والثقافي ليمهد أرضية مناسبة لتحرّك النصّ أمام القارئ ليجعل النصّ خارج آفاق توقعات المتلقّي. يظهر تلاحم وانسجام كبير بين النّصّين القرآنيّ والشعريّ.

تعود مرجعية التناصّ في هذا البيت إلى المرجعية القرآنية القائمة على المستوين: المستوى الفنّيّ الذي يرتبط بالشعر من الناحية الإبداعية، والمستوي السيكلوجيّ الذي يتعلق بالمجتمع الذي عاشه وما أحاط به من الخلاعة والمجون والتيارات الفكرية المنحرفة عن الدين الحنيف. أبدع الشاعر تناصّاً منسجماً ومتلاحماً مع المعنى المطلوب. فضلاً عن أهمية التناص في مسيرة الكشف

إنّ الممعن في شعر الإلبيري يجد أنّ هذا التناص مما يكسب النص الشعري فاعلية وحيوية متزايدة ويزيده قابلية التلقي لديه وينجرّ إلى إقناعه لقبول الفكرة المرادة لسبب بسيط وهو أنّ النص يشرئب من النصوص المقدسة التي تحيل الذهن إلى تلك المصادر النبيلة التي تزيد المتلقي تنبيهاً وتذكيراً يؤدي إلى ارتياح النفوس والكشف عن مقدرة الكاتب ووعيه الفني وذلك السحر المتواجد في القرآن الكريم.

بما أنّ الإلبيري يعدّ من الفقهاء المبرزين في الفترة الأندلسية وكان من الطبيعي أن يكثر من ترداد النصوص المقدسة في شعره مما يزيد المتلقي قبولاً للفكرة الدينية وإقناعاً له. ظهر التناص الديني في شعره الزهدي بشكل عفوي من دون تكلف والذي أدي إلى تطوير الفكرة لدى المخاطب حيث صارت هذه النصوص المقدسة بمثابة منهل يعبّ منه الشعراء طوال القرون بصور مختلفة.

لقد ورد التناص القرآني بصوره المختلفة لدى الإلبيري، فمن ثمّ نشير إلى بعض هذه المظاهر حسب ما يتسع المجال.

وحصّنـــوا الجنّـــة للنـــار[46]
فحـــزبُ الله هـــم الـغالبـــون[47]
فـــرّوا إلى الله مـــن النـــار[48]
فـــرّ مـــن الله إلى الله[49]

عن نفسية الشاعر وميزات أدبه، يتضح من خلال القطعة أنّ الشاعر لم يخرج النص القرآني إلى سياق جديد ووظّفه مطابقاً لذلك المعنى الذي ورد في القرآن الكريم. فازداد النصّ الشعري دلالة من دون أيّ إعادة للنص القرآني أو تفكيكه وجاء النصّ الشعري موافقاً للصياغة التركيبية.

يدلّ توظيف النصوص الدينية خاصة القرآنية على إحالة الشاعر إلى شخصيته الدينية والإسلامية ومدى أهمية الأسس العقائدية في الحياة وما تنبعث فيها من الفوز والنجاح في الدارين، فضلاً عما يضفي القرآن الكريم على النص الشعري من المصداقية والدلالة والجمال.

2-3 – التناص الامتصاصي أو الإحالي

أحرز التناص الامتصاصي المكانة الأولى بعد التناص الاجتراري لكثرة وروده في شعر الإلبيري، ويكون هذا اللون من التناص أكثر حضوراً مقارنة بالتناص الاجتراري الذي يعدّ أقل حضوراً وتجلياً. فهو (لا يعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر، ومندرج في بنيته بشكل صريح كلي ومعلن، وإنما يشير إليه ويحيل الذاكرة القرائية عليه عن طريق وجود دالّ من دواله أو شيء منه ينوب عنه، بحيث يذكر النص شيئاً من النصوص السابقة. ينفي ما يراه موائماً وملائماً للرؤية التي يتبناها النص الجديد وينفي ما عداها)[53].

استخدم الإلبيري هذا النمط من التناص للتعبير عن تجاربه الشخصية والذاتية طيلة الحياة بغية مشاركة المتلقّي فيها. جاء هذا الضرب من التناص للتعبير عن تلك الفترة التي عاشها الشاعر أعني فترة الزهد الذي عبّر فيها الشاعر الزاهد عن الواقع المحيط به وما عانى من نسيان تعاليم الدين الحنيف في المجتمع الإنساني وكثرة

الخلاعة والمجون فيه. حمل الشاعر على عاتقه تربية الناس وإشاعة المثل الدينية النبيلة وما نُسى منها بين أبناء الدهر. هذا مما يلائم طبيعة الشعر الزهدي.

أيُّ خيرٍ لوالدٍ في بنيه ... وهو عنهم يفرُّ يوم الجزاء[54]
طوبى لمَن فازَ بدار التقي ... ولم يكن من حصب النار[55]
وأكثر ذكره في الأرض دأبا ... لتُذكر في السماء إذا ذَكَرتا[56]
وقد أنزل الله في وحيه ... يحذّر عن صحبة الفاسقين
فلا تتخذ منهم خادما ... وذرهم إلى لعنة اللاعنين[57]

تضمنت هذه المقطوعات الشعرية تلك النصوص القرآنية التي تؤكد على التزود من صالح الأعمال وعدم مجالسة الفاسقين واجتنابهم. في البيت الأول تضمن الشاعر قوله – تعالى–:﴿**فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه وَأُمِّه وَأَبِيه وَصَاحِبَتِه وَبَنِيه لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه**﴾[58] والبيت الثاني يحتوي على الآيةَ الشريفة:﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾[59] والبيت الثالث يشير إلى هذه الآية الشريفة: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾[60]، والشطر الأخير يحتوي على هذه الآية الكريمة:﴿ **لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾[61].

لقد امتلك الشاعر براعة فنية في توظيف النصوص القرآنية والاستفادة منها وترسيم الفضاءات الثقافية الجديدة التي تجعل القارئ أمام لوحات فنية بين النص القرآني والشعري الذي يوافق وتجربته الشعرية. تكيّف النص القرآني مع النص المنتج وظهر متواشجاً ومتماهياً مع النسيج القرآني. وأصبح الذكر الحكيم وسيلة ناجعة للإثراء اللغوي والإبداع الفني.

يتضح لنا من خلال هذه القطعة أنّ الشاعر عمد إلى توظيف النصوص القرآنية من أجل تعميق الدلالة الشعرية باستحضار الدلالة القرآنية إلى جانب الدلالة الشعرية الحاضرة. حقّق توظيف هذه النصوص القرآنية تناصّاً شكليّاً ووظيفيّاً أدّى إلى تلاحم

تنام الدهرَ ويحك في غطيط ... بها حتّى إذا متَّ انتبهتا[62]
وقولوا جميلاً إن علمتم خلافه ... وأعضوا على ما كان من هفواتي [63]
إنّ حمى الله منيعٌ فما ... يقربُ شيءٌ من حمى الله[64]

استلهم الشاعر في هذه المقطوعة الحديث النبوي الشريف الذي زاد النص رفعة ودلالة وجمالاً. أشار في البيت الأول إلى كلام الإمام علي (عليه السلام) حين يقول: (**الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا**)[65]. ينمّ البيت الثاني عن كلام النبي (ص) حيث يقول: (**أذكروا محاسن موتاكم وكفّوا عن مساويهم**)[66]. يشير البيت الثالث إلى قوله (ص) حيث يقول: (**لكلّ ملك حمى وحمى الله ما حرّم**)[67].

امتاح الشاعر من الأحاديث الواردة وتأثر بصياغتها الأسلوبية التي زادت نصّه القداسةَ واسترعت انتباه المتلقي وأحدثت تأثيراً بالغاً.

هكذا أراد الشاعر من خلال هذه النصوص المقدسة أن يظهر ما يحدث للإنسان من تغيير وتبديل للأفضل. كان التناصّ بضروبه المختلفة مرادفاً في دلالته لما جاء في السياق القرآنيّ. واندماج في معناه وغايته مع المعنى القرآنيّ حتى أنّنا لا نكاد نجد مقطوعة إلاّ وأنّها متأثرة باللفظ القرآني وكان حسن هذا التوظيف القرآني يكسب الكلام قوة التعبير وحسن التناسق.

كان للتناصّ بهذه المضامين القرآنية أهمية خاصة ودور هامّ في توضيح فكرة الشاعر وتقريبها إلى ذهن المتلقي. تسابق الشاعر في استخدام العبارة لفظاً ومعنى مع القرآن الكريم، فقد أصبح النص الشعري نسيجاً واحداً يفتح أمام المتلقي آفاقاً قدسية مشرقة. فارتشف المفردات من القرآن الكريم ليضفي على شعره طلاوة ورونقاً.

يتّضح من خلال النّصوص السابقة ظهور لغة القرآن الكريم في الشعر الزهدي من خلال استمداد الآيات القرآنية وألفاظها وتوظيفها في الشعر لإضفاء الجمال على الشعر ومدّ التعبيرات بالطاقات اللغوية، ما كان له تأثير عظيم في تقوية النتاج وتحسين الأداء الشعريّ. فجاءت لغة القرآن الكريم لإثارة المشاعر والأحاسيس النابضة في كيان الشاعر لتكون جزءاً من لغته ومشاعره.

ورد أيضاً التناص بالحديث النبوي الشريف في شعر الإلبيري وهذا يدلّ على ثقافته الواسعة بالحديث وما يجب على كل مسلم من الوقوف على المأثورات والأحاديث الواردة. لأنها تكتظ بالأسس الدينية والأخلاقية التي تنير الطريق في الدياجير وتهدي إلى سواء الطريق.

من نماذج ما ورد في شعره ما يقول:

هذه النصوص ذات إشعاعات ودلالات لا تختفي رغم استخدامها في السياق الشعريّ وتعطيه طاقة إيحائية ودلالية. نلاحظ من خلال هذه القطعة أنّ الشاعر يتأثر بقداسة الحديث النبوي الشريف وروحانيته واستطاع بذلك إدماج النص الشريف في شعره ليصبح جزءًا من شعره. عمد إلى استخدامه ليضفي على أدبه طلاوة وبهاء ليحلّي شعره مرصعاً بجوهر الدين وأسسه العليا.

3-3 – التناص الحواري أو الإيمائي

المراد من هذا النوع من التّناصّ هو أنّ الشاعر لا يأتي فيه بالآيات القرآنية أو مفرداتها بعينها، بل يسوق الكلام مساق المفاهيم القرآنية دون استحضار نصّها عن طريق الإشارة أو قرائن تدلّ على تلك المفاهيم القرآنية. يقيم هذا الأمر صلات وثيقة بين النّصّ الحاضر والنص الغائب. انطلاقاً من هذا الموقف، على القارئ

أو السامع أن يكشف عن الصلات الوثيقة بين الشّعر والنّصّ القرآنيّ الغائب لتحديد مدلولاته. هذا الأمر يقوم بدور هامّ في امتصاص النّصّ الغائب وإعادته في ثوب قشيب جديد.

يحتاج هذا النمط من التناص إلى تدقيق النظر وإعمال الفكرة للكشف عن النص الغائب والتنقيب عنه. إذ إنّه (أقلّ الأشكال وضوحاً وحرفية ... وهو أن يقتضي الفهم العميق لمؤدى ما وملاحظة العلاقة بين مؤدى آخر، تحيل إليه بالضرورة هذه أو تلك من تبادلاته وهو بغير ذلك لا يمكن فهمه)[68].

تبين من خلال هذا التعريف أنّ التناص الحواري لا يشير إلى النص الغائب بصورة واضحة يفهمه الكل، بل يحتاج إلى إمعان النظر ومعرفة النص الغائب والنص الحاضر. المراد من الحوار في

ولا تحفل بمالك والهُ عنه
يا رُبَّ جبارٍ شديد القوى
وأخال ذاك لعِبرة عرضت لها
ولستَ بممتنٍّ عليّه بطاعتي

عمد الشاعر في هذه القطعة إلى استلهام الآيات الكريمة لكثرة حوافز الاستدعاء لتزيد المزيد من القبول والاستحسان لدى المتلقّي. استفاد في الشطر الأول من قوله – تعالى–: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى**﴾[74] وفي الشطر الثاني من قوله –تعالى–: ﴿**...وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[75] وفي الشطر الثالث من قوله – تعالى–: ﴿**...فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[76]، وفي الشطر الأخير من قوله – تعالى–: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[77].

ولم تُخلق لتعمرها ولكن
ولا تقل الصِّبا فيه مجالٌ
فخُذ الكفاف ولاتكن ذا فضلة
لكن رأيتُ نبيّاً قد عاب

عمد الشاعر هنا إلى استلهام الحديث النبوي الشريف بغية التأثير في كيان المتلقّي مما يثير في ذاته الانقياد واتباع السنة النبوية الشريفة الواردة في الحديث النبوي واتخاذ الرسول (ص) هو الأسوة الحسنة ومظهر الرحمة العالمية. استلهم الشاعر في الأبيات السابقة بعض الأحاديث الشريفة. أشار في البيت الأول إلى قوله(ص): (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى)[82]، وينمّ في البيت الثاني عن قوله (ص): (اغتنم خمساً قبل خمس؛ حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك)[83]، وكشف في البيت الثالث عن قوله(ص):(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)[84]، وأشار في البيت الأخير إلى قوله (ص): (...إنّ من أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون)[85].

يتضح عبر الأسطر الشعرية أنّ الأحاديث المأثورة من أهمّ الخلجات والهواجس التي خامرت الشاعر. جعلها الشاعر نصب عينه في الوهلة الثانية بعد آي القرآن الكريم ويحفّز المتلقي على هذا اللون من التناص (تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي قد يغلف الأشكال والثيمات والكتابة في الجديد وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية، والأخلاقية والخواص في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة، كان قانون الحوار)[69].

يتبين من خلال هذا الضرب من التناص لدى الإلبيري أنّ الشاعر استخدمه أداة طيعة لتوصيل فكرته إلى المتلقّي ليحيط بما استلهمه الشاعر من النصوص الدينية ومدى قدرته على استيعابها في النسيج الشعري.

من نماذج التناص الحواري في شعره ما يقول:

فليس المال إلا ما علمتا[70]
أصابه سهمٌ من الله[71]
من قسوة في القلب أشبهت الصّفا[72]
له المنُّ في التيسير للحسنات [73]

استخدم الإلبيري الحديث النبوي الشريف خلال الإتيان بالتناص الحواري للتعبير عن المثل الدينية النبيلة، فأحرز نجاحًا باهرًا في توظيف التّناصّ مع الحديث الشريف إبانة عن صورة العلاقة التي يقيمها بين نصّه وبين النص المأثور. أسهمت هذه النصوص المأثورة في التعبير عن دلالة النصّ.

من أمثلة ما ورد في قوله ما يقول:

لتعبرها فجدً لما خُلقتا[78]
وفكّر كم صغير قد دفنتا[79]
فالفضلُ تُسألُ عنه أيَّ سُؤال[80]
من كلّ ثرثارٍ وأشدق شاعر[81]

امتثالها في الحياة. تؤكد هذه القطعة أنّ الشاعر تداخلت نصوصه مع الحديث النبوي الشريف بما يفوق أيّ مخزون فكري وشعري. هنا جاءت الكلمات للتعبير عن الموقف الشعوري الذي أراده الشاعر ليجعل التناص ملائماً ومنسجماً مع الحالة النفسية والروحية التي خامرته. منح التناص هنا عمقاً للنص وشحنه بطاقات رمزية كثيفة.

من البديهي أنّ هذا التناص جاء عن الوعي واستخدمه الشاعر للتعبير عن الغاية والقصد المنشود. يعدّ الحديث النبوي الشريف بعد القرآن الكريم معيناً لا ينضب حيث ساعد الشاعر على توظيف المثل الدينية والعقائدية التي تغذّي تجاربه الشعورية ومعانيه الشعرية وصار مكوّناً مهمًّا من مكوناته الشعرية.

أراد الشاعر أن يجعل الحاضر غائباً ويبني تناصه مع هذه الأحاديث الشريفة في النسيج الشعري. لا ريب أنّ الشاعر اعتمد على نباهة المتلقّي وسعة معلوماته على النصوص الدينية خاصة الروايات والأحاديث المأثورة، فعبّر عن المفردات المحتشدة في المقطوعة ليضفي عليها ظلالاً وارفة من المعاني السامية لتكسب

المعنى سمة خاصة ويستدعي موروثه الديني. يدلّنا هذا التناص على مدى تمسك الشاعر بالإسلام ومعانيه السامية وسعة مخزونه الفكري. نراه يستمدّ رؤاه الفكرية من الحديث النبوي الشريف مستحضرًا بعض سماته الشريفة من سياق تأملاته، كما اتخذ خلال المقطوعات الشعرية قصص الأنبياء منطلقاً لمضامين نصوصه الشعرية وينسج بعباراته الشعرية قالبًا لغويًا يكتسب جماله من جمال القرآن الكريم.

نلاحظ من خلال المقطوعات الشعرية أنّ النصّ الديني صار جزءاً من تجربة الشاعر الذي ينبثق من مخزونه الديني، واستطاع أن يخلق لنفسه تكويناً فكرياً وثقافياً، ومن ثمّ كان لفكرته الدينية أبرز وأهمّ حافز في تكوين نصوصه الشعرية، ويعمّق الدلالة الفكرية من خلال التناص الديني بمستوياته المختلفة. يدلّ التوظيف الديني لدى الشاعر على الطريق الذي يسلكه الشاعر في تعديل السلوكيات واتباع المنهج القويم، والخطاب الرباني يعدّ نوعاً من رجاء الشاعر أمام ما لم يتحقق للشعب طوال القرون، فبذلك يوحّد الشاعر بين التجربة النفسية وأزمة الغربة والتشريد ويستغلّ الإمكانيات الفكرية الكامنة في إطار اللغة لنقل التجارب وتوصيلها. هكذا يكلّل الشاعر عمله الفني بالخلجات النفسية والمشاعر الدفينة ويركز الإحساس من جرّاء تذليل المخزون الفكري والديني ويعتمد على الثقافة القرآنية يذوبها في باطنه ويفرغها في مخيلته لترسيم الصور والأخيلة الدينية.انتزع الشاعر من الأسس العقائدية ما يناسب وحياة الشعب بغية تسليح الشعب بالعقيدة والإيمان ومدّ الطاقات الفكرية الصالحة؛ فالنص القرآني يتكيّف مع النص الشعري.

لا مشادة في أنّ الأحاديث والروايات الإسلامية تحتوى على أعلى المثل الأخلاقية والسلوكية لأبناء البشر التي تقدّم لهم أهمّ الأسس الفكرية والأخلاقية في جميع المجالات خاصة الدينية والسلوكية ابتغاء مواجهة النحل الفكرية المنحرفة ومبادئ الكفر والضلال من جانب، ومن جانب آخر تمهّد السبيل للناس أمام أهمّ السلوكيات المثالية والنموذجية لأفراد المجتمع من أجل بناء مجتمع نموذجي يقوم على أسس الدين الحنيف وتعاليمه السمحة لإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم وإعمال الفكرة في الحياة. من هذا المنطلق، تعدّ هذه الروايات الإسلامية طوال القرون المتمادية ينبوعاً زخّاراً للكتّاب والأدباء يستقون منها أسسهم الفكرية والأخلاقية والعقائدية. وصارت هذه المأثورات جزءاً من حياتهم الفكرية والمعيشية، رغبة منهم في تقوية الجانب الروحي في النفوس وتوقّد جذوة الإيمان فيها وتحريك المشاعر والأحاسيس الدينية.

إجابات عن تساؤلات الدراسة

تبين من خلال هذا البحث أنّ الشاعر الزاهد أقام صلات وطيدة بين النصوص المتناصة وما ألمّ به من دخائل وهواجس نفسية وروحية وحاول من خلال توظيف النصوص المقدسة إثراء المضمون الشعري وتعميقه وإقناع المتلقي للفكرة الرامية إليها. مما لا شك فيه أنّ سبب توظيف التناص عبر العصور المختلفة يعود إلى إقامة الصلات الوطيدة بين الأدب والتراث. فمن هذا المنطلق، أراد الشاعر الأندلسي استيعابًا وتمثلًا كبيرًا للنصوص السابقة ليجعلها في بوتقة تجربته الشعرية مسهمًا بذلك في تطويرها؛ لأنّ النص الحاضر أحد مكونات النص الحاضر.ترتبط عملية توظيف النصوص المتناصة بمختلف مستوياتها بالقضايا الفكرية والعقدية السائدة في المجتمع الأندلسي. لا مشادة أنّ الشاعر لم يستخدم هذه النصوص الشريفة من أجل الإناقة والتعبير البحت، بل أراد من خلال هذا الأمر إحياء التراث الديني الذي انطمس معالمه في المجتمع الأندلسي إثر شيوع موجات العبث واللهو من جانب، ومن جانب آخر تذكير الناس وتنبيههم بما يجب عليهم مراعاته والمواظبة عليه من أوامر ونواهي دينية تضمن سعادة الإنسان في الدارين.

يتبيّن من خلال تدقيق النظر خلال الأسطر الشعرية أنّ الدواعي الدينية والعقدية وشيوع مظاهر الانحراف والشذوذ الخلقي والتعسف كانت من أهمّ البواعث والأسباب التي ساقت الشاعر مساق توظيف هذه النصوص المقدسة، وحاول من خلال النصوص المتناصة التعبير عن الهواجس والمكنونات الروحية والنفسية.

كل هذه التناصات لدى الشاعر من الاجتراري، الاقتباسي والحواري تخدم الأغراض الرئيسة والإفصاح عن ذلك التفاعل الجدلي بين النص الحاضر والغائب في إطار العلاقات الممتدة في فضاء النصّ. يعبر التناص عن خاصية جوهرية قوامها انتماء الشاعر وجيله إلى التراث الديني والإسلامي القيّم وهذا مما يضفي على النص قيمة جمالية ودلالية تؤثّر في ذوق المتلقّي ووجدانه. اتخذ الشاعر الأندلسي هذه النصوص المتناصة منفذًا للتعبير عن تلك المواقف والرؤى الفكرية التي تواكب روح العصر وتعكس قضايا جوهرية لدى المجتمع الأندلسي ويعالج مواضيع العصر برؤية عصرية تساير الظروف الجديدة التي واجهته.

إنّ الممعن في شعر الشاعر يجد أنّه اتخذ تقنية التناص وسيلة فنية رائعة وطيعة ليبعث تراثه الديني والحضاري من جديد وإثراء نصه الشعري عبر الإشارات المعرفية الموحية التي وجدت في نفسية الشاعر الزاهد. من هنا يقوم التناص بدور هامّ وبارز في إنتاج دلالات وإيحاءات جديدة تقوم على استحضار النص الغائب في ثوب جديد ليلقي عليه كثافة وجدانية جديدة تجعل النص الحاضر أداة معبّرة عما يجري في الواقع. تعدّ هذه الوظيفة من أهمّ الوظائف الفعّالة لتقنية التناص بحيث يقوم الشاعر عبرها بإثراء الموضوع وإعطائه دلالات وإيحاءات جديدة ومدلولات معرفية تحيل القارئ على التراث الديني النبيل، فضلًا عن دور التناص في الكشف عن دور رمزي يكمن في تنصيص التجارب الإنسانية، وله وظيفة هامّة على المستوى التعبيري والانفعالي والعاطفي. لأنّ الشاعر–كما رأينا–اختار نصوصه المتناصة فوق حالته النفسية والروحية التي يعيشها.

توصيات الدراسة

1. ينبغي أن يدرس ماهية التناص بمستوياته المختلفة وعلاقته بالتراث الديني والعقدي في الأدب الأندلسي ودوره في الإبداع الفني وإثراء النص الأدبي لدى الشعراء الأندلسيين خاصة الشعراء الزهاد الذين استلهموا معظم محاورهم الشعرية من التراث الديني والإسلامي.

2. يوصي الكاتب أن ينهل كافة الباحثين والأدباء من معين الأدب الأندلسي لما فيه من معطيات فكرية وأدبية جديدة وإنتاجات حديثة ظهرت إثر تعارف الحضارات والثقافات المختلفة.

3. دراسة التناص المعرفي في التراث الشعري لدى الإلبيري. تبين خلال شعره أنّه تناصّ مع عدد من معاصريه وممن سبقوه.

4. ينبغي التطرق إلى دراسة القضايا المحيطة بالمجتمع الأندلسي في مختلف المستويات وعلاقتها بالإبداع الفكري والأدبي لدى الشاعر.

5. تسليط الأضواء على دور الثوابت الدينية والمثل الإسلامية النبيلة في اقتلاع الإنسان عن ارتكاب المعاصي والكبائر.

6. تحريض شرائح الناس المختلفة خاصة الناشئين والشباب على التمسك بالمثل الدينية واتخاذها منهجًا قويمًا في السلوكيات وأفضل طريق لاجتناب الزلل والخطايا.

الخاتمة

تبيّن لنا من خلال أنماط التناص الواردة في شعر الإلبيري أنّ المبادئ الدينية والإسلامية خاصة الموجودة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أهمّ الروافد الفكرية والثقافية لدى الشاعر لما فيها من متعة وإفادة وإثراء بالإشارة ودلالة عميقة خاصة حينما تصبح هذه الأسس النبيلة معادلاً موضوعياً للشعر. إذ يكشف توظيف هذه القواعد والأسس السامية عن ألوان من الانفعالات الجمالية والنفسية وتمثّل في أصدق صورة ثقافة الشاعر الدينية ومدى تأثره بهذه النصوص ومقدرته على استخدامها.

يبدو أنّ الشاعر عبر توظيف التناص يلجأ إلى الإلماعة السريعة والمركزة التي يعود معظمها إلى طبيعة الموقف الشعري الذي يتبناه في الشعر محاولًا صهر النصوص الغائبة وإعادة الصياغة الجديدة وتشكيل بناء لغوي جديد يعمل على تعزيز المعنى القديم.

حاول الشاعر الأندلسي من خلال توظيف النصوص الدينية أن يكسب أدبه مصداقية متميزة للمعاني التي تصدر من الخطاب القرآني في مستوياته المختلفة كالإقرار بوحدانية الله وتوحيده، تصوير القيامة وما رافقها من الأحداث المثقلة وثنائية الخلود والفناء. القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يقعان في ذروة الفصاحة وأرقاها.انطلاقًا من هذا الموقف، استطاع الشاعر من خلال توظيف النصوص أن يضفي على شعره صبغة من الجمال حيث انسجمت محاوره الشعرية مع النصوص الدينية ابتغاء خلق المعطيات الأدبية التي تتسم بالحيوية والنشاط والجدة ووفّق في تنمية رصيده اللغوي ورفع أسلوبه الأدبي.

الأمر الذي لا شك فيه أنّ تقنية التناص الديني لدى الإلبيري تعبّر بصورة واضحة عن كل ما أحاط بالشاعر من المؤثرات الفكرية والثقافية والدينية وتدلّ على سعة تجربته الذاتية والشخصية. صار التناص لديه بمثابة أداة تضافره على تصوير الأحاسيس والمشاعر تجاه ما أحاط به من الملمّات والقضايا الروحية والإنسانية.تراوح التناص لديه بين اقتباس النصوص الدينية كما هي دون أي تحوير أو إشراب الأسطر الشعرية معان دينية. يحتوي شعره على العبارات والمعاني ذات البعد الديني الذي اقتصر الشاعر على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أجل تفجير الطاقات الكامنة وامتصاصها على هيئة تراكيب لغوية داخل النسيج الشعري.

الهوامش:

1. عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، القاهرة، الشركة العالمية للنشر،1997م، 187.

2. اصطيف، التناص ظاهرة قديمة قدم الكتابة نفسها، مجلة راية،العدد 34، 2011م، 51.

3. الزمخشري، أساس البلاغة،بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، مادّة النصّ.

4. الزبيديّ، تاج العروس، تحقيق عبدالكريم العرباويّ، الكويت، وزارة الإعلام،1979م، مادة النصّ.

5. ابن منظور، لسان العرب، مصر، دار المعرفة،د.ت، مادة النصّ.

6. الفيروزآبادي،القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط 1، 1980م، مادة النصّ.

7. ابن منظور، السابق، المصدر نفسه.

8. Ducourt, Encyclopedia Dictionary of Language, London, illustrat, 1979,292.

9. كرستيفيا، علم النصّ، ترجمة فريد الزاهي،المغرب، دار تبقال للنشر والتوزيع والدار البيضاء،ط1، 1979م، 79.

10. الزعبي، التّناصّ نظرياً و تطبيقاً، الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع،ط2، 2000م، 12.

11. طودوروف، تزيفتان، قضايا الشعرية، ترجمة شكري المجنون، ورجاء سلامة، المغرب، دار توبقال، الدار البيضاء ، ط2، 1990م، 77 .

12. ساميول، تيفين، التناص ذاكرة الأدب.ترجمة نجيب غزاوي،دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2007م،10.

13. أمبرتو، إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية .ترجمة أنطوان أبو زيد، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1. المغرب، 1966م، 66.

14. ساميول، السابق، 99.

15. عشري زايد، استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربيّ المعاصر، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر، 1997م، 75.

16. الإلبيري، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي،تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1991م، 43.

17. المصدر نفسه، 47

18. المصدر نفسه،

19. الإلبيري، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي،تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1991م،22

20. المصدر نفسه، 44

21. المصدر نفسه، 99.

22. سورة طه :111

23. سورة الرعد:11

24. سورة العنكبوت: 41

25. الإلبيري، السابق، 57

26. المصدر نفسه، 76

27. المصدر نفسه، 77

28. الإلبيري، السابق، 33

29. المصدر نفسه، 67
30. (30)– سورة ق: 19
31. سورة القيامة:26
32. سورة لقمان: 34
33. ابن حنبل، المسند، شرحه أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، د.ت،4207.
34. ابن ماجة، سنن،تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م، 1376.
35. الرضي، نهج البلاغة، بيروت، دار المعارف،د.ت، 464.
36. مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، بغداد، جامعة الموصل، 1988م، 142.
37. مشاعل، الدعوة إلى الله في العصر العباسيّ الأوّل مشكلاتها وأساليبها ومواقفها، بيروت، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1414، 153–154
38. الإلبيري، السابق، 29
39. الإلبيري، السابق، 31
40. الإلبيري، السابق، 58
41. ابن ماجة، السابق، 1287
42. المصدر نفسه، 1135
43. المصدر نفسه، 1034
44. ناهم، التناص في شعر الرواد، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2007م، 50
45. واصل، التناص التراثي في الشعر المعاصر، عمان،دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011م، 78–79
46. الإلبيري، السابق،103
47. المصدر نفسه،112
48. المصدر نفسه، 75
49. المصدر نفسه، 45
50. سورة النساء: 71
51. سورة المائدة: 56
52. سورة الذاريات: 50
53. واصل، السابق، 95
54. الإلبيري، السابق، 97
55. المصدر نفسه، 102
56. المصدر نفسه، 30
57. المصدر نفسه، 110
58. سورة العبس: 33–37
59. سورة الأنبياء: 98
60. سورة البقرة: 152
61. سورة آل عمران: 28
62. الإلبيري، السابق،24
63. المصدر نفسه، 63
64. المصدر نفسه، 78
65. الرضي، السابق، 64
66. ابن ماجة، السابق، 1232
67. المصدر نفسه، 1254
68. خير البقاعي، آفاق التناصية المفهوم والمنظور، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998م، 133
69. ناهم، السابق، 61–62
70. الإلبيري، السابق، 27
71. المصدر نفسه،76
72. المصدر نفسه،51
73. المصدر نفسه،64
74. سورة سبأ: 37
75. سورة إبراهيم: 15
76. سورة الزمر: 22
77. سورة الحجرات: 17
78. الإلبيري، السابق،29
79. لمصدر نفسه، 30
80. المصدر نفسه،46
81. المصدر نفسه، 93
82. ابن ماجة، السابق، 1432
83. المصدر نفسه، 1454
84. المصدر نفسه، 1125
85. المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- المراجع العربية:

1. الإلبيري، إبراهيم بن مسعود،ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي،تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1991م.
2. أمبرتو، إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية .ترجمة أنطوان أبو زيد، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1. المغرب، 1966م.
3. اصطيف،عبدالنبيّ، 1993م،(التناص ظاهرة قديمة قدم الكتابة نفسها)، مجلة راية، جامعة مؤتة، ،العدد 34، 2011م.
4. ابن حنبل، أحمد، المسند، شرحه أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، د.ت.
5. ابن جنّيّ،أبوالفتح عثمان،الخصائص،تحقيق محمد عليّ النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، 1952م.

6. أبوالخشب، إبراهيم علي، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة، دار الفكر العربي، 1970م.

7. خير البقاعي، محمد، آفاق التناصية المفهوم والمنظور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر، 1998م.

8. الرضي، أبوالحسن محمد بن الحسين، نهج البلاغة، دار المعارف، بيروت، د.ت.

9. الزبيديّ، محمد مرتضى الحسينيّ، تاج العروس، تحقيق عبدالكريم العرباويّ، وزارة الإعلام، الكويت، 1979م.

10. الزعبي، أحمد، التّناصّ نظرياً وتطبيقاً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2000م.

11. الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1982م.

12. ساميول، تيفين، التناص ذاكرة الأدب.ترجمة نجيب غزاوي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2007م.– 12

13. طودوروف، تزيفتان، قضايا الشعرية، ترجمة شكري المجنون، ورجاء سلامة، المغرب، دار توبقال، الدار البيضاء ، ط2، 1990م.

14. عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة العالمية للنشر، القاهرة، 1997م.

15. عبد المطلب، محمد، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

16. عبود شراد، شلتاغ،1987م، أثر القرآن في الشعر العربيّ الحديث، دار المعرفة، دمشق.

17. عشري زايد، علي، استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربيّ المعاصر، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، 1997م.

18. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1980م.

19. كرستيفيا، جوليا، علم النصّ، ترجمة فريد الزاهي، دار تبقال للنشر والتوزيع والدار البيضاء، ط1، المغرب، 1979م.

20. ابن ماجة، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزوينيّ،سنن،تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية،1987م.

21. مشاعل، عليّ أحمد،الدعوة إلى الله في العصر العباسيّ الأوّل مشكلاتها وأساليبها ومواقفها،دار العاصمة للنشر والتوزيع، بيروت، 1414.

22. مصطفى بهجت، منجد،الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، جامعة الموصل، بغداد، 1988م.

23. ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مصر، دار المعرفة، د.ت.

24. ناهم، أحمد،التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية، ط 1،القاهرة، 2007م.

25. واصل، عصام حفظ الله، التناص التراثي في الشعر المعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

1. *Ducourt,ToodrowEncyclopedia Dictionary of Language, London: illustrat press ,(1979).*